معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأربعون النووية

شرح الشيخ رياض عصنوني

حفظه الله

الدرس رقم (13)

التاريخ: السبت 1440/06/04 هـ

09/شباط/2019 م

الدرس الثالث عشر من شرح "الأربعين النووية"

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛

فدرسنا اليوم هو **الدرس الثالث عشر** من دروس شرح الأربعين النووية، للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي –رحمه الله-.

الحديث التاسع والعشرون

(المتن)

قال –رحمه الله-: «عَنْ مُعَاذٍ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:16]، حتى بلغ قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:17]، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سبيل الله، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(الشرح)

هذا الحديث حديثٌ عظيم، فيه إرشادٌ إلى ما به نجاة المرء في الدنيا والآخرة، وفيه إرشادٌ إلى جملة من أعمال الخير، التي ينبغي على طالب النجاة فعلها وتعاهدها.

سأل معاذٌ –رضي الله عنه-النبيَّ –ﷺ-، عن عملٍ يُدخله الجنة ويباعده عن النار، وهذا من حرصه –رضي الله عنه-، حرصه على الخير، وعلى الجنة، وعلى البُعد عن النار، وقد مرت معنا أحاديث أخرى، تُبين حِرص الصحابة على هذا الأمر، فكان هذا ديدنهم –رضي الله عنهم وأرضاهم- طلب الجنة، والبعد عن

النار.

فأجابه النبي –ﷺ- بجوابٍ، وقال له: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌعَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْه »، يعني أن هذا العمل الذي سألت عنه عملٌ عظيم، لكنه يسيرٌ وسهلٌ على من سهله الله له، لذلك ينبغي على الإنسان أن يُكثر من الدعاء "دعاء الله تبارك وتعالى، الإعانة والتوفيق في القول والعمل".

أول ما بدأ به النبي –ﷺ- من الأعمال: هي أركان الإسلام الخمس؛ لأنها ما يقوم به إسلام المرء؛ فالمرء إذا أراد الجنة عليه أولًا أن يحرص على فعل أركان الإسلام الخمسة، فلا يترك ركنًا يمكنه فعله إلا قام به، فلنضرب مثلًا: الصلاة، لا يترك الإنسان الصلاة، ثم يريد بعد ذلك فِعل شيء آخر من أوجه الخير، تجده ربما تاركًا للصلاة، لكنه يتصدق، ونقصد بالصدقة هنا هي صدقة المال المستحبة، يعني هذا لا يصلح، المرء الذي نيته صادقة في فعل الخير وفي الجنة، يحرص أولًا على أداء أركان الإسلام الخمسة.

والنبي –ﷺ- بدل أن يذكر الشهادتين قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». وهذا تفسير لشهادة أن لا إله إلا الله.

فالإنسان الذي يريد الجنة، ويريد البُعد عن النار عليه أن يوحد الله تبارك وتعالى، وأن يخلص عباداته كلها لله، وأن يستحضر هذا الإخلاص في كل عملٍ يُريد التقرب به إلى الله، هذا هو الأساس، وهذا هو أحد شروط قبول العمل.

ثم يَفعل باقي الأمور التي جاء ذُكرها في هذا الحديث، وأعظم شيء بعد التوحيد هو إقامة الصلاة، وقد تكلمنا عن الأركان الخمسة، بما فيه كفاية في الأحاديث التي سبقت.

ثم بعد ذِكر الأركان، قال له النبي –ﷺ-: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟»، يعني أدلك على أبواب الخير الأخرى، التي ينبغي الحرص عليها لمن أراد الجنة، والبعد عن النار؟ أول شيء أرشده إليه النبي –ﷺ- هو الصوم، فقال له: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»، ويريد بالصوم هنا **صيام التطوع** لا صيام الفرض؛ لأن صيام الفرض سبق في صوم رمضان.

ووصف الصوم بأنه **جُنة**: أي أنه **وقايةٌ** للصائم من النار، وسترٌ له من المعاصي حينما يكون صائمًا، يعني الصائم تَطَّيب نفسه، ومجاري الدم في الإنسان تضيق، والشيطان لا يتمكن من الإنسان في حال صيامه، كما يتمكن منه في حال إفطاره، لذلك تجد أن النبي –ﷺ-، أرشد من لا يستطيع الزواج، أرشده إلى الصوم، وقال: «فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»؛ لأن الإنسان في حال الصيام تجد نفسه طيبة، والشيطان، كما قلنا لا يتمكن منه، كما يتمكن منه حال الإفطار.

الباب الثاني: الذي أرشد إليه النبي –ﷺ-، من أبواب الخير هو: الصدقة، الصدقة مر معنا في الأحاديث عن السابقة، أنها ليست مخصوصة في صدقة المال، بل تدخل فيها جميع الأمور أمور البر،

وأمور: كالتسبيح والتهليل، والأذكار، وجميع الأمور: إفشاء السلام أو غيرها التي جاءت معنا في الأحاديث السابقة، وهي المرادة هنا، ليس المراد بها فقط صدقة المال، تدخل فيها صدقة المال، لكن ليست هي المرادة بخصوصها.

ووصفها بأنها «تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»، وهذا وصفٌ بليغٌ منه -ﷺ-، لما للصدقة من تأثيرٍ في تكفير السيئات، والإنسان إذا أخطأ وارتكب محرمًا، وأراد أن يمحو هذا الفعل من صحيفته، أو هذه السيئة من صحيفته، فعليه بفِعل الصدقات، وقد تكلمنا عن هذا الأمر في حديث: «اتّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا»، وتكلمنا أيضًا عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود:114]

الإنسان إذا عمل محرماً، هو دون الكبائر لا يحتاج إلى توبة، فإذا أراد أن يمحوه فعليه أن يُتبعه بالحسنات، أو بالصدقات؛ حتى يُمحى، أما إذا ارتكب الكبائر فلابد من التوبة معها.

الباب الثالث من أبواب الخير: الذي ذَكره النبي -ﷺ- في حديثنا هذا، هو صلاة الليل، صلاة الإنسان في الليل، كل صلاة تؤدى في الليل فهي تعتبر قيام ليلٍ، وأفضلها أن يقوم الإنسان في الثُلث الأخير من الليل، وهو وقت نزول الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، وقد جاء في الحديث: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخر نزلُ اللَّهُ سبحانه وتعالى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ»، فإذا وافق هذا أن يكون المرء قائمًا يصلي، فيكون أحرى بالإجابة. وقد ثبت، أو قد جاء عن نبي الله داود -عليه السلام-: «كانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ»، يعني الثلث الذي بعد النصف، وينام السدس الباقي إلى الفجر، فينبغي على الإنسان أن يحرص على هذا الخير العظيم، وألا يفرط فيه، وأن يكون له شيءٌ من قيام الليل ولو ركعتين يركعهما، وإذا رأى من نفسه أنه لا يتمكن الاستيقاظ قُبيل الفجر أو في الثلث الأخير فليصل متى استطاع، ولو بعد العشاء، بعد راتبة العشاء يضيف ركعتين يصليهما لله، فيكون هذا خيرًا له، وفيه فضلٌ كبيرٌ إن شاء الله.

ثم قال -ﷺ-: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟»، الأمر الذي يقصده هنا: هو الدين، «بِرَأْسِ الْأَمْرِ» يعني رأس الدين الذي هو الإسلام، فإذا قُطع الرأس فلا حياة، الجسد إذا قطع رأسه فلا حياة.

وعمودهُ هو ما يقوم عليه، يعني البناء يقوم على أعمدة، وهذا الأمر يقوم على عمود وهو الصلاة، «وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ» قال هو: «الْجِهَادُ فِي سبيل الله»، السنام هو ما علا من ظهر البعير، البعير لها شيء صاعد على ظهرها، هذا الشيء هو السَّنام، وذروته أعلاه، ذروته هي أعلى هذه الحدبة التي على ظهر البعير.

كانت ذروة سنام الدين: الجهاد؛ لأن به انتشار الدين، يعني الدين الإسلامي كما أنه انتشر بأمور كالتجارة، والأخلاق الحميدة، وغير ذلك، لكن أكثر ما انتشر به الدين هو الجهاد في سبيل الله عز وجل، وبه -أي بالجهاد- يعلو المسلمون على الكفار، ويظهر الدين، الدين يكون ظاهرًا بالجهاد.

ثم قال له النبي -ﷺ-: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»؛ أي بما به ملاك الأمر؟ وأرشد النبي -ﷺ- معاذ إلى حِفظ اللسان، فقال له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ»، النبي -ﷺ- أخذ بلسانه، وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»؛ أي لا تطلقه، ولا تتكلم بأي شيء، فاستفسر معاذٌ من النبي -ﷺ-، وقال له: «وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟»، فَقَالَ له النبي -ﷺ-: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ»؛ أي فقدتك حتى كانت ثُكلى من فقدك، وهذه عبارةٌ معناه غير مقصود، وإنما يراد بها الحث والإغراء على فهم ما يقال.

فقال له: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ»، والشك هنا من الراوي الذي روى الحديث، قال: «إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»، يعني هل يُكب الناس في النار، إلا ما يحصدونه من ألسنتهم؟ ومعناه أن اللسان هو أعظم الجوارح جُرمًا، وأكثر أعضاء الإنسان اكتسابًا للخطايا، لماذا؟ لأنه سهل الحركة، وسريع الحركة، والإنسان الذي يتكلم كثيرًا، ويتكلم بما لا ينفع؛ فإنه يرتكب من الإثم بقدر ما لغى، وجاء في الحديث: «أن الإنسان أو المرء قد يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا فيَهْوِي بِهَا فِي النار سبعين خريفًا»، وانظر إلى عِظم جُرم اللسان، وعِظم البلاء الذي يجنيه الإنسان جراء كلامه، لماذا؟ لأن الإنسان قد يكفر بسبب كلامه، يعني يخرج من الإسلام بسبب كلامه، كذلك قد يرتكب الموبقات بسبب كلامه، قد يقذف إنسانًا، قد يدعو امرأةً إلى الزنا بسبب لسانه، قد يتكلم في عِرض إخوانه، وقد -مثلاً- يمشي بالنميمة بين الناس، وهذا بلسانه، قد يشتم الناس، البلايا التي تأتي وراء اللسان، أو بفِعل اللسان كثيرة، وهذا لمن لا يضبط كلامه. قد مرَّ معنا هذه العبارة، قلنا: أن الكلمة إذا حبسها الإنسان فقد ملكها، أما إذا تكلم بها فقد ملكته، يعني أن الإنسان مادام لم يتكلم فهو في خير، لكن إذا تكلم وألقى كلمةً فهي التي تملكه، لذلك ينبغي على الإنسان أن يفكر مليًا، وأن لا يلقي الكلام هكذا على عواهنه، سواءً كان الكلام في أمور لدين، أو كان الكلام في أمور الدنيا، أو كان الكلام في أعراض الناس، قد تجد الكثير منا يتورع في المحرمات، تجده لا يأكل الربا، لا يزني، لا يسرق، تجده لا يشرب الخمر، لا يقذف الناس، لا يأكل أموال الناس بالباطل، تجده يتورع ولا يفعل الكثير من المحرمات، لكن إذا جاء الأمر إلى اللسان، فتجده يطلق لسانه في أعراض إخوانه، ربما يمشي بين الناس بالنميمة إلى غير ذلك.

نسأل الله عز وجل أن يهدينا لأحسن الخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو سبحانه وتعالى.

الحديث الثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي –رحمه الله-: عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ، فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَفِي السنن وفي غَيْرُهُ.

(الشرح)

هذا الحديث حديثٌ ضعيف، ضعفه ابن رجب –رحمه الله- في شرح الأربعين، وكذا الشيخ العلامة ناصر الدين الألباني –رحمه الله-، لكن معناهُ يشهد له ما مضى من أحاديث. فيه تقسيم الدين إلى فرضٍ لابد من فعله، وطبعًا عندما نقول لابد من فعله، أن فعله منوط بالاستطاعة.

وقسمه أيضًا: إلى حرامٍ يجب اجتنابه والبعد عنه، وقسمه أيضًا إلى حدودٍ حدها الله لنا، ويقصد بها الواجبات، والمستحبات، والمباحات [1]، يجب الوقوف عندها وفعلها، كما تقتضيه الشريعة.

القسم الرابع: الأمور التي سكت عنها ولم يبينها، أي هذه لم يأتي فيها لا تحريم، ولا تحليل، فهذه عفوٌ لا يُسأل عنها، ولا ينبغي السؤال عنها، وقد جاء في قصة الصحابي، الذي سأل النبي –ﷺ- عن الحج: «أيجب الحج كل عام؟ فقال له النبي –ﷺ-: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»، وقد سبق الكلام عن هذا، يعني كثرة السؤال وغيره، في الأحاديث السابقة، فلا داعي إلى إعادتها.

الحديث الحادي والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي –رحمه الله-: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ». حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ .

[1] المباحات غير داخلة في حدود الله.

(الشرح)

لكن الصحيح أنه ضعيف، كما بيَّنه ابن رجب أيضًا في شرح الأربعين، ونقل كلام أئمة الحديث فيه وأنه ضعيف، وكذا ضعفه ابن حجر رحم الله الجميع.

ومعناه: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا» أي اترك ما يشغلك عن الله، وما لا ينفعك في الآخرة، فإن هذا يزيد من همتك في طلب رضا الله، وفي الازدياد من الأعمال التي تنفعك القيامة.

يعني إذا ترك الإنسان، ما يشغله عن الله تبارك وتعالى، وما لا ينفعه في الآخرة، فإن تركه لهذه الأمور يزيد في همته في طلب رضا الله سبحانه وتعالى، وفي فعل الأمور التي تقرب من الله، وتنفع يوم القيامة.

وكذلك معنى: «وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ»؛ يعني أترك طلب الأشياء من الناس، واترك ما معهم من ملذات الدنيا وحطامها، ولا تدع نفسك تتشوف لها، وتتشوق إليها، وتستشرفها، حتى إذا كنت محتاجاً إليها، فلا تدع نفسك، تتلهف إلى هذه الأمور التي عند الناس، فإذا فعلت ذلك أحبك الناس، لماذا؟ لأن الناس من عادتها أنها لا تحب من يسألها حاجاتها، وينفرون ممن طبعه أنه يسألهم دائمًا، ويطلب منهم الأشياء، وفي نفس الوقت الناس تحب أن الرجل الذي لا يسأل، تحب من هو عفيف، ولا يسأل الناس ما عندهم من أمور.

حتى وإن كان هذا الحديث ضعيف، فهذا المعنى هو الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان، الإنسان ينبغي أن يوطن نفسه، أن يسأل ما يريده من الله سبحانه وتعالى، صل بالليل ركعتين، أطل السجود، وأسأل الله تبارك وتعالى، ما تريده من أمور هذه الدنيا، ولا تدع نفسك تغلبك، وتسأل الناس، يعني خصوصًا إذا كان الإنسان من طلاب العلم، لا يبغي له أن يكون هذا ديدنه، يعني يتحجج بأنه متفرغ لطلب العلم، وفي نفس الوقت تجده يسأل الناس، يسألهم كل شيء، هذا لا ينبغي، وينبغي على الإنسان أن يترك هذه الأمور، كما جاء هنا: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو سبحانه وتعالى، نسأله سبحانه وأن ينفعنا بما نقول، وأن يحسن خاتمتنا، وأن يزهدنا في هذه الدنيا وفي حطامها، وأن يحبب إلينا الأعمال والأقوال التي تُقرب منه سبحانه وتعالى، وترضيه سبحانه وتعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.